الشارق

مجلة ثقافية إسلامية عربية تصدر في كل ثلاثة أشهر

الرئيس العام

الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

يناير
فبراير
مارس
٢٠٢٤م

تصدرها

الجامعة الإسلامية

بمظفرفور أعظم جراه، يو.بي (الهند)

من أهداف المجلة

أولاً:

تعريف التراث الإسلامي بالأخص تراث السنة النبوية الشريفة.

ثانياً:

محاربة البدع وفساد العقيدة.

ثالثاً:

توجيه الشباب المسلم إلى الاختيار بالوسطية والاعتدال في الفكر والعمل.

رابعاً:

اتصال بالمراكز العلمية والإسلامية في العالم الإسلامي والعربي عن تنسيق العمل بين هذه الجامعة وبين العلماء والباحثين بالعمل المشترك في هذا المجال العملي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الشَّارِق

مجلّة ثقافية إسلاميّة عربيّة تصدر في كلّ ثلاثة أشهر

المجلد التاسع
العدد الأول

يناير
فبراير، مارس
٢٠٢٤م

الرئيس العام
الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي

هيئة التحرير
د. فريد الدين الندوي
محمد رافع الندوي

الهيئة الاستشارية
فيروز أختر الندوي
السيد جاويد أحمد الندوي

عنوان المراسلات

مجلة الشارق العربية الجامعة الإسلامية
مظفربور أعظم جراه يوبي (الهند)

Alshariq Arabic, Jamia Islamia
MUZAFFARPUR-AZAMGARH (U.P.) 276302 INDIA

الشارق

مجلة ثقافية إسلاميه عربية

تصدر في كلّ ثلاثة أشهر

الجامعة الإسلامية

مظفر فور أعظم جراه يوبي (الهند)

❋ المواد التي تنشرها المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر –بالضرورة– عن رأي المجلة.

❋ الموضوعات والمقالات التي تصل إلى مجلة الشارق لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

الاشتراكات السنوية

في الهند: ١٠٠ روبية

ثمن النسخة: ٢٥ روبية

في العالم العربي: ٢٠ دولاراً

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم

Zakaria Book Depot

A/c No: **36723697140**

IFS Code: **SBIN0014131**

S.B.I. Muzaffarpur Gaon Azamgarh

الجوال: (+918795565555)

التزيين: محمد أنس المعروفي

محتويات العدد

العناوين		الصفحة
الافتتاحية:		
استقبلنا رمضان	الأستاذ محمد رافع الندوي	٣
مقاصد الصوم	سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي رحمه الله	٦
الزكاة مصارف ومصالح وسمات وترغيب وترهيب	العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله	٢٥

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

استقبلنا رمضان

بقلم: الأستاذ محمد رافع الندوي

قد حلّ شهر رمضان المبارك، شهر الخيرات والبركات، شهر الرحمة والمغفرة والعتق من النار، شهر الصيام والقيام، شهر الصبر عن الشهوات والمنكرات وعلى الطاعات والقربات، شهر المؤاساة والإنفاق في سبيل الله، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النيران، شَهْرُ القرآن الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ هذا الكتاب العظيم الخالد هدًى للنَّاس وَبيّنَات من الهُدى والفرقان، شهر فيه ليلة فضيلة شريفة، لَيْلة القدر، وَمَا أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزّل الملائكة والرّوح فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر، سلام هي حتّى مطلع الفجر، فطوبى لمن استقبل هذا الشهر المبارك الفضيل وجدّ واجتهد في الطاعات والقربات من صيام وقيام وتلاوة للقرآن وذكر وتسبيح وتهليل وتحميد وإنفاق في سبيل الله وبر ومؤاساة للفقراء والمستضعفين في الأرض. وهنيئاً لمن وجد هذا الشهر المبارك واحترمه كل الاحترام فخاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنّة هي المأوى، نهى النفس عن قول الزور والعمل به، اجتنب عن الغيبة والنميمة والهمز واللمز والتنابز بالألقاب والفواحش والمعاصي كلّها، وصان صيامه وقيامه فأعرض عن اللغو من الأقوال والأعمال.

هنيئاً لمن اغتنم هذا الشهر الفضيل الكريم فروَّض نفسه على التقوى والورع ومكارم الأخلاق فإن إيجاد التقوى من مقاصد الصوم، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] وهنيئاً لمن جعل شهر رمضان فرصة سانحة قيمة لتغيير حياته ولتحسين أعماله وأفعاله وتزكية نفسه وقلبه وفق ما جاءت به السيرة الطيبة على صاحبها ألف ألف صلاة وسلام.

❁❁❁❁❁

العالم كلّه في رمضان، المسلمون في العالم كلّه يصومون ويقومون، يتسحرون ويفطرون ولكن الأوضاع تختلف باختلاف الأمكنة، فها هو قد استقبل المسلمون في فلسطين رمضان هذا العام، ولكن كيف؟؟ المسلمون في فلسطين الذين لا يزالون يواجهون همجيّة شرسة وضراوة وحشية بربرية نادرة من دولة إسرائيل الظالمة الخبيثة الشيطانية حتى في رمضان وقد فقدوا من جرّاء هذا العدوان السافر الذي قد مضى عليه أكثر من خمسة شهور مؤلمة؛ كل ما كانوا يملكونه من قبل من بيت يؤويهم ولقمة تكفيهم وجرعة من ماء ترويهم وتبلّ غلّتهم.

استقبل المسلمون في فلسطين رمضان وهم لا يجدون ما يأكلون ويشربون، وإنهم قد صاموا والصوم ليس لهم بشيء جديد فإنهم في حالة صوم منذ أكثر من مائة وخمسين يوماً وإنهم قد قاموا ولكن على أنقاض منازلهم وأطلال مساجدهم، استقبلوا رمضان ولكن رمضاناً يختلف عن رمضاننا كل الاختلاف حتى لا نستطيع أن نتصور ما يمرون به من أوضاع وأوجاع وآلام وأضرار وحتى لا تستطيع كلماتنا أن تعبر عن حالهم تعبيراً صادقاً، فحسبهم الله ونعم الوكيل، عليه توكلوا وهو رب العرش العظيم، ليس لنا لهم إلا الدعاء والشعور بآلامهم في القلب، تعالوا نرفع أيدينا إلى الله سبحانه وتعالى القادر القاهر، نسأل الله بأن يكون لهم ناصراً ومعيناً وأن يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف وأن يبطش الظالم السفاك بطشاً شديداً إن بطش ربك لشديد. اللهم أجب دعوتنا في حق إخواننا في فلسطين بجاه حبيبك وحبينا سيد المرسلين ﷺ. ❁❁❁❁❁

رأينا من المناسب أن نجعل هذا العدد عدداً خاصّا ممتازاً عن مقاصد الصوم ليتجدّد تذكرنا بأهمية شهر رمضان المبارك ومقاصد الصوم وفوائد كثيرة عن الصوم وما يرجع إليه لنكون أكثر نشاطاً وأعظم اجتهاداً واحتساباً في صيامنا وقيامنا ولنكون أبعد عما لا يليق بهذا الشهر الفضيل من أخلاق رذيلة ومنكرات وآثام بتوفيق الله وإذنه.

لذلك اخترنا "مقاصد الصوم" للعز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ (عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي)، هذه الرسالة الوجيزة القيمة المفيدة الغالية التي تحتوي على مطالب كثيرة ومعان جمة مما تتعلق برمضان والصيام والقيام والاعتكاف وبيان فضل وأحكام ليلة القدر، ومباحث أخرى مفيدة، هذه الرسالة صفحاتها قليلة معدودة ومعانيها وفوائدها كثيرة جمة تغني عن أي كتاب ورسالة في هذا الباب إلى حدّ، رحم الله مؤلفها رحمة واسعة ونفعنا بعلمه وإخلاصه، كما ألحقنا به مقالاً غالياً حول «الزكاة: مصارف ومصالح وسمات وترغيب وترهيب»، للمفكر الإسلامي الكبير سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ليكون هذا العدد بمثابة هدية علمية رمضانية طريفة ممتعة بإذن الله، فجزى الله صاحب الكتابة خير الجزاء وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، رمضان كريم كل عام وأنتم بخير والسلام.

وإليكم مجلتكم!

مقاصد الصوم

سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي رحمه الله

وجوب الصوم:

قال الله تعالى وعزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

معناه: لعلّكم تتّقون النارَ بصومِه، فإنّ صومَه سببٌ لِغُفرانِ الذُّنوب الموجِبةِ للنّار.

وفي « الصحيحين »[١] عن النبي ﷺ، أنّه قال: « بُني الإسلام على خمس، على أن تعبد الله، وتكفر بما دونه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان ».

✡✡✡

فضائله: للصوم فوائدُ:

رفع الدرجات، وتكفير الخطيئات، وكسر الشهوات، وتكثير الصدقات، وتوفير الطاعات، وشكر عالم الخفيات، والانزجار عن خواطر المعاصي والمخالفات.

فأمّا رفع الدرجات، فلقوله ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغُلِّقَت أبواب النار، وصُفِّدَت الشياطين[٢]».

---

[١] « صحيح مسلم » (٢٠) (١٦) في الإيمان: باب بيان أركان الإسلام، ودعائمه العظام، عن ابن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه البخاري (٨) في الإيمان: باب دعاءكم إيمانكم، وفيه: «شهادة أن لا إله إلا الله» بدل «على أن تعبد الله وتكفر بمادونه».

[٢] « صحيح البخاري » (١٨٩٨)، و« صحيح مسلم » (١٠٧٩).

ولقوله صلى الله عليه وسلم - حكايةً عن ربه عزّ وجلّ -: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يسخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم، إني صائم. والذي نفس محمدٍ بيده، لخلوف فم الصائم، أطيب عند الله يوم القيامة، من ريح المسك. وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه[١]».

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل عمل ابن آدم يُضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي[٢]».

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة باباً يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق، فلم يدخل منه أحد[٣]».

وفي رواية[٤]: إن في الجنة باباً يدعى الريان، يُدعى به الصائمون، من كان من الصائمين دخله، ومن دخله لم يظمأ أبداً».

وقال عليه السلام: « إِنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى يَفْرُغُوا »[٥].

أمّا تفتيحُ أبواب الجنة، فعبارة عن تكثير الطاعات الموجبة لفتح أبواب الجنان.

وتغليق أبواب النار، عبارة عن قلة المعاصي الموجبة لإغلاق أبواب النيران.

---

[١] « صحيح البخاري » (١٩٠٤)، و« صحيح مسلم » (١٦٣) (١١٥١).

[٢] « صحيح مسلم » (١٦٤) (١١٥١).

[٣] « صحيح البخاري » (١٨٩٦)، و« صحيح مسلم » (١٦٦) (١١٥٢).

[٤] « الترمذي » (٧٦٥)، و« النسائي » (١٦٨/٤).

[٥] « مسند أحمد » (٣٦٥/٦ و٤٣٩).

وتصفيد الشياطين، عبارة عن انقطاع وسوستهم عن الصائمين؛ لأنهم لا يطمعون في إجابتهم إلى المعاصي.

وقوله عزّ وجلّ: « كلُّ عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي، وأنا أجزي به » أضافه إليه إضافة تشريف، لأنه لا يدخلُه رياء لخفائه، ولأن الجوع والعطش لا يتقرب بهما إلى أحدٍ من ملوك الأرض، ولا إلى الأصنام.

وقوله: « أنا أجزي به » ، وإن كان هو الجاري على جميع الطاعات، معناه: تعظيم جزائه، بأنه هو المتولي لإسدائه.

وقوله: « الصيام جنة » ، معناه: الصوم وقاية من عذاب الله.

و « الرفث » : فاحش الكلام. و « السخب » : الخصام.

وقوله: « فليقل: إني صائم » ، معناه: أنه يذكر نفسه بالصوم، ليكشف عن المشابهة والمقابلة.

وأما قوله: « لخلوف فم الصائم، أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك » ، ففي الكلام حذف، تقديره: ولثواب خلوف فم الصائم، أطيب عند الله من ريح المسك.

وأما الفرحتان، فأحدهما لتوفيقه لإكمال العبادة، والأخرى فلجزاء الله إذا جزاه.

وقوله: « يدع شهوته وطعامه من أجلي » معناه: أنه لما آثر طاعة ربه على طاعة نفسه، مع قوة الشهوة، وغلبة الهوى، أثابه الله بأن تولى جزاءه بنفسه، ومن آثر الله، آثره الله. فإنه ينزل العبدُ من نفسه حيث أنزله من نفسه. ولهذا من همّ بمعصية، ثم تركها خوفاً من الله، فإن الله، يقول للحفظة: كتبوها له حسنة، فإنه إنما ترك شهوته من جرّايَ؛ أي من أجلي.

وأما تخصيص دخولهم الجنة بباب الريّان، فإنهم مُيّزوا بذلك الباب لتميز عبادتهم وشرفها.

وأما صلاة الملائكة على الصائم إذا أُكِل عنده، فإن تركه الطعام، مع حضوره بين يديه، بالغ في قمعه نفسه، فاستوجب لذلك صلاتهم عليه؛ وصلاتهم عبارة عن دعائهم له بالرحمة والمغفرة.

وأما تكفير الخطيئات، فذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: « رمضان إلى رمضان مكفِّرات ما بينهن ما اجتُنبت الكبائر »[١].

وقوله عليه السلام: « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه »[٢]. معناه: إيماناً بوجوبه، واحتساباً لأجره عند ربه.

وأما كسر الشهوات، فإنّ الجوع والظمأ يكسران شهوة المعاصي.

وكذلك صحّ عنه عليه السلام، أنه قال: « يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء »[٣]. و« الباءة »: هي النكاح. « والوجاء » هو رض أنثيي الفحل، نزّل ﷺ كسر الصوم للشهوة، منزلة رض الأنثيين في حسم الشهوة.

وقد جاء في حديث: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم » فضيِّقوا مسالكه بالجوع.

وأما تكثير الصدقات، فلأن الصائم إذا جاع تذكر ما عنده من الجوع، فحثه ذلك على إطعام الجائع:

ع فإنما يرحم العشّاق من عشقا

وقد بلغنا أن سليمان، أو يوسف عليهما السلام، لا يأكل حتى يأكل جميع

---

[١] أخرجه أحمد في « المسند » (٢/٤٠٠)، و« صحيح مسلم » (٢٣٣).

[٢] « صحيح البخاري » (٣٨).

[٣] أخرجه أحمد في « المسند » (١/٣٧٨)، و« صحيح البخاري » (١٩٠٥)، و« صحيح مسلم » (١٤٠٠).

المتعلقين به؛ فسئل عن ذلك، فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع.

وأما توفير الطاعات، فلأنه تذكّر جوع أهل النار وظمأهم، فحثّه ذلك على تكثير الطاعات، لينجو بها من النار.

وأما شكر عالم الخفيّات؛ إذا صام عرف نعمة الله عليه، في الشبع والرّي، فشكرها لذلك، فإن النعم لا يُعرف مقدارُها إلا بفقدها.

وأما الانزجارُ عن خواطر المعاصي والمخالفات؛ فلأن النفس إذا شبعت طمحت إلى المعاصي، وتشوّفت إلى المخالفات، وإذا جاعت وظمئت تشوفت إلى المطعومات والمشروبات، وطموح النفس إلى المناجات واشتغالها بها خير من تشوفها إلى المعاصي والزلات، ولذلك قدّم بعض السلف الصوم على سائر العبادات؛ فسئل عن ذلك، فقال: لأن يطلع الله على نفسي، وهي تنازعني إلى الطعام والشراب، أحبُّ إليَّ من أن يطّلعَ عليها، وهي تنازُعني إلى معصيته إذا شبعت.

وللصوم فوائد كثيرةٌ أخر، كصحة الأذهان، وسلامة الأبدان؛ وقد جاء في حديث: « صوموا تصحّوا ».

ومن شرفه أنه: من فطَّر صائماً، كان له مثل أجره، وقال صلى الله عليه وسلم: « من فطّر صائماً كان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء ». فمن فطّر ستة وثلاثين صائماً في كل سنة، فكأنما صام الدهر، ومن كثَّر بفطر الصائمين على هذه النية، كتب الله [له] صوم عصورٍ ودُهور.

ومن شرفه أنّ من قامه إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه، لقوله ﷺ: « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »[1].

✡✡✡

---

[1] أخرجه مسلم (٧٥٩)، والبخاري (١٩٠١).

آداب الصوم:

وهي ستة: أحدها: حفظ اللسان والجوارح عن المخالفة؛ لقوله ﷺ: « من لم يدع قول الزور، والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »[١].

وقال عليه السلام: « رب قائم حظُّه من قيامه السهر، ورب صائم حظُّه من صيامه الجوع والعطش[٢] ».

الثاني: إذا دعي إلى طعام وهو صائم، فليقل: إني صائم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: « إذا دعي أحدُكم إلى طعام، وهو صائم فليقل إني صائم »[٣]. يذكر ذلك اعتذاراً إلى الداعي، لئلا ينكسر قلبه. فإن خاف الرياء ورّى بعذر آخر.

الثالث: ما يقوله إذا أفطر؛ وهو ما روي عنه، عليه السلام، أنه كان يقول إذا أفطر: « ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله »[٤].

وروي أيضاً أنه كان يقول: « اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت »[٥].

وفي حديث آخر: « الحمد لله الذي أعانني فصمت، ورزقني فأفطرت »[٦].

الرابع: ما يفطَر عليه، وهو رطب، أو تمر، أو ماء؛ لأنه روي عنه ﷺ أنه: « كان يفطر، قبل أن يصلي، على رطبات، فإن لم يكن فتمراتٍ، فإن لم يكن حسا حسواتٍ من ماء »[٧].

---

[١] أخرجه البخاري (١٩٠٣).

[٢] « مسند أحمد » (٢/٣٧٣، ٤٤١).

[٣] أخرجه مسلم (١١٥٠)

[٤] أخرجه أبو داود (٢٣٥٧).

[٥] أخرجه أبو داود (٢٣٥٨).

[٦] « مصنف ابن أبي شيبة » (٢/ ٣٤٤).

[٧] أخرجه أحمد في « المسند » (٣/١٦٤)، وأبو داود (٢٣٥٦)، والترمذي (٦٩٦).

وقال عليه السلام: « إذا كان أحدكم صائماً فليفطر على التمر، فإن لم يجد فعلى الماء، فإن الماء طهور »[١].

الخامس والسادس: تعجيل الفطر وتأخير السحور؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: « تسحّروا فإن في السحور بركة »[٢].

وقال عليه السلام: « لا يزالُ الناس بخير، ما عجّلوا الفطر »[٣].

وقال عليه السلام: « قال الله عزّ وجلّ: أحبّ عبادي إليّ أعجلهم فطراً[٤] ».

وقال عليه السلام: « لا يزال الدين ظاهراً، ما عجّل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون »[٥].

قال عمرو بن ميمون: كان أصحابُ محمدٍ ﷺ أعجل الناس إفطاراً، وأبطأهم سحوراً.

وإنما أخّر السحور ليُتَقوّى به على الصوم، كيلا يجهده الصوم، فتقعده عن كثير من الطاعات؛ وقد كان بين سحور رسول الله ﷺ وبين صلاته قدر خمسين آية.

وإنما عجّل الفطر لأن الجوع والعطش ربما ضرّ به؛ فلا وجه إلى إيطال النفس لذلك، مع أنه لا قربة فيه. وقد رُئي بعض ظرفاء السلف، يأكل في السوق، فقيل له في ذلك، فقال: « مطل الغني ظلم ».

✡✡✡

---

[١] أخرجه أبو داود (٢٣٥٥). والترمذي (٦٩٥).

[٢] أخرجه البخاري (١٩٢٣).

[٣] أخرجه البخاري (١٩٥٧). ومسلم (١٠٩٨).

[٤] أخرجه أحمد في « المسند » (٢/٣٢٩)، والترمذي (٧٠٠).

[٥] أخرجه أحمد في « المسند » (٢/٤٥٠). وأبو داود (٢٣٥٣). وابن ماجه (١٦٩٨).

فيما يجتنب في الصوم: وهو أنواع:

أحدها: قال أبو هريرة رضي الله عنه: « نهى رسول الله ﷺ عن الوصال، فقال رجل من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل، قال رسول الله ﷺ: «وأيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني» فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً، ثم يوماً، ثم رأوا الهلال، فقال: «لو تأخر الهلال لزدتكم» كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا[١].

وإنما نهى عن الوصال، لما فيه من إضعاف القوى، وإضمار الأجساد، من غير عبادة.

وأمّا الرسول ﷺ، وإن كان أكله وشربه عند ربه حقيقة، فإنه لم يواصل.

وإن عبّر بالأكل والشرب عن قوّة الأنس بالله، والسرور بقربه، فقد قام ذلك مقام الأكل والشرب في إنعاش قواه؛ بل هو أبلغ من الطعام والشراب:

وقد صمت عن لذاتِ دهري كلها ... ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

ولقد وجدت لذاذه لك في الحشا ... ليست لمأكول ولا مشروب

الثاني: القبلة؛ قالت عائشة رضي الله عنها: « كان رسول الله ﷺ، يقبل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، ولكنه أملكهم لأربه »[٢]. فمن كان شيخاً يأمن على نفسه من تحريك الشهوة، وإفساد الصوم، فلا بأس بها، وإن كان شاباً لا يأمن ذلك، كرهت له، لما فيها من تعريض العبادة للإفساد والمخاطرة بها.

الثالث: الحجامة: صحّ أنّ رسول الله ﷺ احتجم وهو صائم[٣].

وسئل أنس، أكنتم تكرهون الحجامة للصائم؟ قال: لا إلا من أجل الضَّعف[٤].

---

[١] أخرجه البخاري (١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٣).

[٢] أخرجه البخاري (١٩٢٧)، ومسلم (١١٠٦).

[٣] أخرجه البخاري (١٩٣٩).

[٤] أخرجه البخاري (١٩٤٠).

فمن أضعفته الحجامة كره له، إذ لا يأمن من الفطر، أو من ثقل العبادة عليه فيتبرّم بها فيكره عبادة الله.

الرابع: الكحل؛ كان أنس يكتحل وهو صائم[١].

وقال الأعمش: ما رأيت أحداً من أصحابنا يكره الكحل للصائم.

وكان إبراهيم يرخّص أن يكتحل الصائم بالصَّبِرِ[٢].

فلا فرق بين الكحل الحادّ الذي ينفذ إلى الحلقوم، وبين غيره. والأولى اجتنابه، خروجاً عن خلاف العلماء.

الخامس: الاستنشاق في الوضوء؛ قال رسول الله ﷺ: للقيط بن صبرة: « أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ في الاستنشاق، إلا أن تكون صائماً »[٣]، فنهى عن المبالغة لما في ذلك من المخاطرة بالعبادة، وتعريضها للإفساد، والله أعلم.

✡✡✡

التماس ليلة القدر:

ليلة القدر ليلة شريفة، فضّلها الله على ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

وسمّيت ليلة القدر إما لشرف قدرها وعلو منزلتها، وإما لأن الأرزاق والآجال من السنة إلى السنة تقدر في تلك الليلة[٤].

---

[١] أخرجه أبو داود (٢٣٧٨).

[٢] أخرجه أبو داود (٢٣٧٩). و« الصَّبِرُ » عُصارة شجرٍ مُرّ.

[٣] أخرجه أبو داود (١٤٢)، والحاكم في « المستدرك » (١/١٤٧).

[٤] قال الحافظ ابن حجر في أوّل كتاب فضل ليلة القدر من كتابه العظيم « فتح الباري » لابن حجر (٤/٢٥٥): واختلف في المراد بالقدر الذي أضيفت إليه الليلة فقيل المراد به التعظيم كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] والمعنى أنها ذات قدر لنزول القرآن فيها أو لما يقع فيها من تنزل الملائكة أو لما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة، أو أن الذي يحييها يصير ذا قدر وقيل: القدر هنا التضييق، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾[الطلاق:٧]، ومعنى التضييق فيها: إخفاؤها عن العلم بتعيينها، أو لأن الأرض تضيق =

وتنزّل الملائكة والرّوحُ في تلك الليلة، فيسلّمون على المجتهدين. واختلف العلماء، هل يسلمون عليهم من تلقاء أنفسهم، أو يبلّغونهم السلام عن ربّهم؟

وإن ليلة يأتي فيها العيد، فيها تسليم رب العالمين عليه، لجديرة أن تكون خيراً من ألف شهر، وبأن يلتمسها الملتمسون، ويطلبها الطالبون، ولذلك التمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صحبه، والصالحون من بعده.

وهي في العشر الأواخر من رمضان، وهي إلى الأوتار أقرب منها إلى الأشفاع، والظاهر أنها ليلة الحادي والعشرين، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآها، ثم أنسيها، وذكر أنه سجد في صبيحتها في ماء وطين.

وصحّ أن المسجد وكف ليلة الحادي والعشرين، ورئي أثر الطين على جبهة رسول الله ﷺ وأنفه، وترجّحت ليلة إحدى وعشرين بأنه أخبر أن القمر كان ليلته كشق جفنة، ولا يكون القمر كَشِقِّ جفنة إلا ليلة السابع وليلة الحادي والعشرين.

فمِن فضيلة هذه الليلة، أنّ من قامها إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه. والدليلُ على ما ذكرناه قولُه صلى الله عليه وسلم: «أريت ليلة القدر، ثم أيقظني بعض أهلي فنسيتها، فالتمسوها في العشر الغوابر»[1]. و«الغوابر»: البواقي.

= فيها عن الملائكة. وقيل: القدر هنا بمعنى القدر، بفتح الدال الذي هو مؤاخي القضاء، والمعنى أنه يقدر فيها أحكام تلك السنة لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وبه صدّر النووي كلامه، فقال: قال بعض العلماء: سميت ليلة القدر لما تكتب فيها الملائكة من الأقدار، لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، ورواه عبد الرزاق وغيره من المفسرين بأسانيد صحيحة عن مجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم.

وقال التوربشتي: إنما جاء القدر بسكون الدال وإن كان الشائع في القدر الذي هو مؤاخي القضاء فتح الدال ليعلم أنه لم يرد به ذلك وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء وإظهاره وتحديده في تلك السنة لتحصيل ما يلقى إليهم فيها مقداراً بمقدار.

[١] أخرجه مسلم (١١٦٦).

وقال ﷺ: « تحرّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان »[1].

وقال أبو هريرة: تذاكرنا ليلةَ القدر عند رسولِ الله ﷺ فقال: « أيّكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شقّ جفنةٍ »[2]؟.

وصحّ عنه ﷺ أنه قال: « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه »[3].

والمستحب من رأها أن يكثر من الثناء والدعاء، وأن يكون أكثر دعائه: « اللهم إنك عفو [كريم] تحبّ العفو، فاعفُ عني »[4].

وإن اقتصر على الثناء فهو أفضلُ، لما روي عنه عليه الصلاة والسلام، أنه قال: « قال الله عزّوجلّ: من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين »[5].

وقال أميّة:

أأذكُرُ حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إنّ شيمتك الحياءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يوماً ... كفاهُ من تعرّضه الثناءُ

✡✡✡

الاعتكاف والجود وقراءة القرآن في رمضان:

قال الله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾[البقرة: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾[البقرة:١٨٧].

---

[١] أخرجه البخاري (٢٠١٧)، ومسلم (١١٦٩).

[٢] رواه مسلم (١١٧٠).

[٣] أخرجه البخاري (١٩٠١).

[٤] أخرجه الترمذي (٢٥٠٨)، وابن ماجه (٣٨٥٠).

[٥] أخرجه الترمذي (٢٩٢٧)، وأخرجه الدارمي (٣٣٥٦).

و« الاعتكاف »: زيارةُ الله في بيتٍ من بيوته، والانقطاعُ إليه فيه. وحق المزور أن يكرم زائره.

وكذلك جاء في الحديث الصحيح، عنه ﷺ، أنه قال: « من غدا إلى المسجد أو راح، أعدّ الله له نزلاً في الجنة، كلما غدا أو راح »[١]. و« النزل »: الضيافة.

والمستحب أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان لطلب ليلة القدر، لأنه آخرُ ما استقر عليه اعتكاف رسول الله ﷺ؛ قالت عائشة رضي الله عنها: « إنّ النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفّاه الله، ثم اعتكف أزواجُه من بعده »[٢].

وعنها، قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ، وشدّ المئزرَ »[٣].

وفي رواية: « كان رسول الله ﷺ يجتهدُ في العشر الأواخر ما لا يجتهدُ في غيره »[٤].

وقولها: « شدّ المئزر » كناية عن ترك الاستمتاع بالنساء. وقيل: عبارة عن الجدّ في العبادة والتشمير فيها.

ويستحب الإكثار من تلاوة القرآن، ومن الجود والإفضال في الشهر للمعتكف وغيره، لأنّ الفقير يعجز بسبب صومه عن الشهوات والتطواف والسؤال.

وفي « الصحيحين » عن ابن عباس ﷺ، قال: « كان النبي ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه عليه السلام كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن. فإذا لقيه جبريل، كان أجودَ بالخير

---

[١] أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩).

[٢] أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢).

[٣] أخرجه البخاري (٢٠٢٤)، ومسلم (١١٧٤).

[٤] أخرجه مسلم (١١٧٥).

من الريح المرسلة »[١]. ومعنى قوله: « من الريح المرسلة »: أي في عمومها وإسراعها.

وصحّ أن جبريل عليه السلام، كان يعارض رسول الله ﷺ القرآن في كل رمضان مرة واحدة، فلمّا كان العامُ الذي توفي فيه عقيبه عارضه مرتين[٢].

✡✡✡

إتباع رمضان بست من شوّال:

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من صام رمضان، ثم أتبعه بست من شوال، كان كصيام الدهر »[٣].

وإنما كان كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فيقابل كل يوم بعشرة أيام.

✡✡✡

الصوم المطلق:

قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال رسول الله ﷺ: « ما من عبدٍ يصوم يوماً في سبيل الله، إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً »[٤].

وقالت عائشة رضي الله عنها: « كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيتُ رسول الله ﷺ، استكمل صيام شهر قطّ، إلا رمضان »[٥].

---

[١] أخرجه البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨).

[٢] أخرجه البخاري (٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠).

[٣] أخرجه مسلم (١١٦٤)، وأبو داود (٢٤٣٣)، والترمذي (٧٥٩).

[٤] أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣).

[٥] أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦).

وقالت معاذة العدوية[١]: سألت عائشة رضي الله عنها، أكان رسولُ الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام؟ قالت: نعم. فقلت لها: من أي أيام الشهر كان يصوم؟ قالت: لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم[٢].

✡✡✡

صوم التطوع:

الأول: في غبّ الصوم. قال صلى الله عليه وسلم: « إن أحب الصيام إلى الله، صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله، صلاة داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ولا يفرُّ إذا لا قى »[٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: أخبر رسول الله ﷺ، أني أقول: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت، فقلت له: بأبي أنت وأمي، قال: «فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونَم وقُم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر»، قلت: إني أطيق أكثر من ذلك، قال: «فصم يوما وأفطر يوما، فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام»، فقلت: إني أطيق أكثر من ذلك، فقال النبي ﷺ «لا أفضل»[٤].

---

[١] معاذة بنت عبد الله أم الصهباء العدوية البصرية، سيدة عالمة عابدة، زوجة السيد القدوة: صلة بن أشيم. كانت تحيي الليل عبادة، وتقول: عجبت لعين تنام، وقد علمت طول الرقاد في ظلم القبور.

ولما استشهد زوجها وابنها في بعض الحروب، اجتمع النساء عندها، فقالت: مرحباً بكُنّ، إن كنتن جئتن للهناء، وإن كنتن جئتن لغير ذلك، فارجعن. وكانت تقول: والله ما أحب البقاء إلا لأتقرب إلى ربي بالوسائل، لعله يجمع بيني وبين أبي الشعثاء وابنه في الجنة. أرّخ ابن الجوزي وفاتها: في سنة ثلاث وثمانين. ترجمتها في « سير أعلام النبلاء » (٤/٥٠٨-٥٠٩)، ومصادرها ثمّة.

[٢] أخرجه مسلم (١١٦٠).

[٣] أخرجه مسلم (١١٥٩).

[٤] « صحيح البخاري » (١٩٧٦).

وإنما فضل رسول الله ﷺ صوم الغب في هذا الحديث [لسببين].

أحدهما: أن ابن عمرو كان لا يحتمل أكثر من ذلك، بدليل أنه ﷺ قال له: « فإنك إذا فعلت ذلك نَفِهَت نفسك، وغارت عيناك. فأخبره ﷺ أنه أفضل صومه الغب.

والثاني: أنه صلى الله عليه وسلم، ذكر أنه صوم داود وذكر أنه لم يؤثر في قوى داود، بقوله: « وكان لا يفرّ إذا لاقى » فعلى هذا يكون حديث ابن عمرو مخصوصاً بأفضل الصوم، وحقّ كل من ينهك الصوم قواه؛ فإن الغالب على الصحابة أنهم إنما كانوا يسألون عن أفضل الأعمال ليتعاطوه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يفهم منهم ذلك، فيجيب كل واحد منهم على حسب ما فهم منه.

ولهذا سأله رجل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: « الصلاة لأول وقتها ».

وسأله آخر: أي الأعمال أفضل؟ فقال: « بر الوالدين ».

وسأله آخر: أي الأعمال أفضل؟ فقال: « الجهاد في سبيل الله » [١].

فأجاب كلّ واحدٍ منهم على ما فهمه من تخصيص سؤاله بأعمال نفسه. فكأنه قال للأول: أفضل أعمالك الصلاة لأول وقتها.

---

[١] أخرجه البخاري (٢٦) في الإيمان: باب من قال إن الإيمان هو العمل، ومسلم (١٣٥) في الإيمان: باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ سئل: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قال: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور».

وأخرج البخاري (٥٢٧) في مواقيت الصلاة: باب فضل الصلاة لوقتها، ومسلم (٨٥) في الإيمان: باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، واللفظ له، عن عبد الله بن مسعود، قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها» قال: قلت ثم أي؟ قال: «بر الوالدين» قال: قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه. أي إبقاء عليه ورفقاً به.

وأما ما أورده المؤلف من تعدّد السائلين، ففيه نظر، إذ لم أجد ذلك فيما وقع بين يدي من المصادر؛ والله أعلم.

وقال للثاني: أفضل أعمالك بر الوالدين، وقال للثالث: أفضل أعمالك [الجهاد في سبيل الله].

ولو لا تنزيل هذه الأحاديث على هذه القاعدة، لكانت متناقضة ومنصب الرسول صلى الله عليه وسلم أجل أن يصدر منه قول متناقض.

فعلى هذا صوم الدهر في حق من أفطر في الأيام المحرّمة، إذا كان مطيقاً له، لا يؤثر في جسده، ولا يقعده عن شيء من الطاعات التي كان يفعلها الأقوياء أفضل من الغب؛ لأن الجزاء على قدر الأعمال. على ما تمهّد في الشريعة، أن من جاء بالحسنة، فله عشر أمثالها.

وإنما قوله صلى الله عليه وسلم: « من صام الأبدَ فلا صام »[١]، فمعناه أنّ من صام العيدين وأيام التشريق، فإنه لو أفطرها لم يكن صائماً للدهر على الحقيقة، بل صائماً لأكثر الدهر.

الثاني: في صوم شعبان، قالت عائشة رضي الله عنها: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلاً »[٢].

الثالث: في صوم المحرم. قال صلى الله عليه وسلم: « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »[٣].

الرابع والخامس: في صوم تاسوعاء وعاشوراء، قال صلى الله عليه وسلم: « صيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله »[٤].

السادس: [في صوم] عشر ذي الحجة. قال ﷺ: « ما من أيام العمل الصالح

---

[١] أخرجه البخاري (١٩٧٧)، ومسلم (١١٥٩).

[٢] أخرجه مسلم (١١٥٧)، والنسائي (١٩٩/٤).

[٣] أخرجه مسلم (١١٦٣).

[٤] أخرجه مسلم (١١٦٢).

فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر». فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»[١].

السابع: في صوم يوم عرفة، قال صلى الله عليه وسلم: «[صيام] يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده»[٢].

والأولى لمن كان حاجّاً بعرفة أن يفطر، لأن فضيلة دعاء عرفة يفوت والصوم لا يفوت.

وقالت لبابة بنت الحارث: إن ناساً تماروا عندها يوم عرفة، في صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم: هو صائم، وقال بعضهم: ليس بصائم، فأرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه[٣].

الثامن: في أيام البيض، قال أبو هريرة: «أوصاني خليلي [صلى الله عليه وسلم] بثلاثٍ، بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد»[٤].

وقال أبو ذر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام من كل شهر ثلاثة أيام، فذلك صيام الدهر»، فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] اليوم بعشرة أيام[٥].

وقال أبو ذر: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام البيض،

---

[١] أخرجه البخاري (٩٦٩)، والترمذي (٧٥٧)، وأبو داود (٢٤٣٨) وابن ماجه (١٧٢٧).

[٢] أخرجه مسلم (١١٦٢).

[٣] أخرجه البخاري (١٩٨٨)، ومسلم (١١٢٣).

[٤] أخرجه البخاري (١٩٨١) ومسلم (٧٢١).

[٥] أخرجه الترمذي (٧٦٢)، وابن ماجه (١٧٠٨).

ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر »[١].

التاسع والعاشر: في صوم الإثنين والخميس، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الإثنين، فقال: « فيه ولدت وفيه أنزل علي »[٢].

وقالت عائشة: « كان النبي ﷺ يتحرّى صوم الإثنين والخميس »[٣].

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس، وأحياناً يعرض علي وأنا صائم »[٤].

✡✡✡

الأيام التي نهى عن صيامها:

وهي أنواع: الأول: الصوم بعد انتصاف شعبان، [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان النصف من شعبان] فأمسكوا عن الصيام حتى يدخل رمضان »[٥].

الثاني: استقبال رمضان بيوم أو يومين، قال صلى الله عليه وسلم: « لا تقدموا رمضان بيوم ولا بيومين، إلا رجلاً كان يصوم صوماً فليصمه »[٦].

الثالث: صوم يوم الشك، قال عمّار بن ياسر: « من صام يوم الشك، فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم »[٧].

---

[١] رواه أحمد في « المسند » (٥/١٥٠)، والترمذي (٧٦١).

[٢] أخرجه مسلم (١١٦٢).

[٣] أخرجه الترمذي (٧٤٥)، والنسائي (٤/٢٠٢-٢٠٣)، وابن ماجه (٧٣٩).

[٤] أخرجه أحمد في « المسند » (٢/٢٦٨، ٣٢٩)، والترمذي (٧٤٧).

[٥] أخرجه أحمد في « المسند » (٢/٤٤٢)، وأبو داود (٢٣٣٧)، والترمذي (٧٣٨).

[٦] أخرجه البخاري (١٩١٤)، ومسلم، واللفظ له في الصيام (١٠٨٢).

[٧] أخرجه أبو داود (٢٣٣٤)، والترمذي (٦٨٦) والنسائي (٤/١٥٣)، وابن ماجه (١٦٤٥).

الرابع: صوم العيدين، عن أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام يومين، يوم الأضحى، ويوم الفطر »[١].

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « هذان يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما: يوم فطركم من صيامكم، واليوم الآخر تأكلون فيه من نسككم »[٢].

الخامس: أيام التشريق، قال ﷺ: « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى »[٣].

السادس: صوم يوم الجمعة منفرداً، قال ﷺ: « لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده »[٤].

وقال عليه السلام: « لا تختصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تختصوا الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم »[٥].

[١] أخرجه مسلم (١١٣٨).

[٢] أخرجه البخاري (١٩٩٠).

[٣] أخرجه مسلم (١١٤١).

[٤] أخرجه مسلم (١١٤٤)، والبخاري (١٩٨٥).

[٥] أخرجه مسلم (١١٤٤).

الزكاة
مصارف ومصالح وسمات وترغيب وترهيب

سماحة الشيخ العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

بيّن الله تبارك وتعالى مصارف الزكاة في آية من سورة براءة، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1] [التوبة: ٦٠]، وقد كان نزول سورة براءة بعد فتح مكة، وقد استقرّت دعائم الإسلام، وبدأ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فقام نظام الزكاة الاجتماعي[2]، وبعث رسول الله ﷺ السعاة والعاملين على

---

[١] راجع تفسير هذه الكلمات ومعرفة مدلولها وما فيه من أقوال ومذاهب « أحكام القرآن » للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى سنة ٣٨٠هـ). « أحكام القرآن » للقاضي أبي يكر ابن العربي المالكي (م سنة ٥٤٢هـ) وكتب التفسير والفقه للمذاهب الأربعة.

وهذه المصارف المنصوصة في القرآن باقية دائمة مع بقاء حكم الزكاة إلا المؤلفة قلوبهم، فقال أكثر الأئمة وفقهاء الإسلام: قد سقط سهمهم بانتشار الإسلام وغلبته، واستدلوا على ذلك بامتناع أبي بكر من إعطائهم، وقد ذهب بعض الفقهاء إلى جواز التأليف، ويعجبني في ذلك قول القاضي أبي بكر العربي، « والذي عندي إن قوي الإسلام زالوا، وإن احتيج إليهم أعطوا سهمهم، كما كان يعطيه رسول ﷺ. فإن الصحيح قد روي فيه « بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ » (أحكام القرآن، ص: ٣٨٥).

[٢] كان ذلك في السنة التاسعة للهجرة. قال الإمام أبو جعفر الطبري. « ثم دخلت سنة تسع... وفي هذه السنة فرضت الصدقات. وفرق فيها رسول الله ﷺ عماله على الصدقات (تاريخ الطبري الجزء الرابع من المجلد الأول، مطبعة بريك ليدن ص ١٧٢٢). وقد وهم رحمه الله في قوله: فرضت الصدقات، فقد سبقت فرضيتها بسنين، كما قدمنا، وإنما كان في هذه السنة بعث العمال على الصدقات، وتفريقهم في الأمصار.

الصدقات يتسلّمون هذه الصدقات من أصحابها، وبيّن رسول الله ﷺ أحكام تحصيلها وآدابها، وأوصاهم في ذلك وصايا، تتجلى فيها الحكمة مع الرحمة، والمصلحة الاجتماعية بجوار المصلحة الفردية[١]، وقد بعث معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن في العام العاشر الهجري، وأوصاه وصية، أصبحت أساس قانون الزكاة ومنشورها الرسمي، قال له:

« إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »[٢].

مصالح الزكاة الأساسية:

اعتاد كثير من الكتاب الإسلاميين المعاصرين الذين خضعوا في قليل أو كثير للنظم الاقتصادية الحديثة، وأهمية علم الاقتصاد وسيطرته على جميع النظم ومناهج التفكير في هذا العصر، أن يفيضوا ويسترسلوا في مصالح الزكاة الاقتصادية والاجتماعية، وما تعود به على المجتمع الإسلامي من فوائد ومنافع، واعتبروها - وبالأصح يفهم القارئ لكتاباتهم وبحوثهم أنهم يعتبرونها - جباية مالية من أعدل الجبايات، وأكثرها اتزاناً واعتدالاً في جميع الجبايات التي عرفها تاريخ الاقتصاد في العالم، ولذلك يعتبرون أنها أكبر أساس، وأقوى دعامة « للاشتراكية » التي يعتقدون أن الإسلام دعا إليها وتحققت في أفضل عصوره، وكادوا يغفلون - إلا من عصم الله ووفقه - روح الزكاة التي تسيطر عليها، وهي روح العبادة والتقرب إلى الله، وحكمتها الأساسية الأولى، وهي حكمة تزكية

[١] اقرأ هذه الوصايا والتوجيهات النبوية، في دواوين الحديث والسيرة.

[٢] ذكره البخاري في أواخر المغازي.

النفس من الشح والحرص، والأثرة وحب المال، وظلم حقوق الفقراء وقسوة النفس وتزكية المال وتنميته، وحلول البركة فيه برضا الله سبحانه وتعالى وقبوله، وبفضل مواساة الفقراء الضعفاء، وانعطاف قلوبهم ورقتها، ودعائهم، وقد ذكر الله هذه المصلحة الأساسية، ونوه بها في القرآن، ويكاد القرآن يقتصر عليها، فقال مخاطباً للرسول ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال مقارناً بين الربا والزكاة: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]، وقد أخرج أبو داود عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: « إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم ».

وتلي هذه المصلحة الأساسية مصلحة الجماعة والمجتمع، وهي كفالة المجتمع، الكفالة اللازمة الضرورية، وسد حاجات الفقراء الطبعية البدائية، وتهيئة كل عضو من أعضاء المجتمع أسباب الحياة الشريفة التي يستطيع بها القيام بحقوق الله وحقوق النفس، والوصول إلى الكمال المطلوب، والغاية المطلوبة من كل فرد مسلم.

وقد كان العلماء الذين كانت دراستهم للإسلام والكتاب والسنة، دراسة أصيلة عميقة، ولم يعرفوا إلا مدرسة النبوة التي يتتلمذون عليها، ويتخرجون فيها، والذين أتوا البيوت من أبوابها في فهم الإسلام وفقه الكتاب والسنة، يراعون الترتيب بين هذه المصالح، وينزلون كل واحدة منها منزلتها التي عيّنها الكتاب والسنة، وفهمها الصحابة رضي الله عنهم وتلقّاها المسلمون جيلاً بعد جيل، وهنا ننقل نماذج من ذلك لبعض كبار علماء الإسلام:

يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي، وهو يبحث في مصالح الزكاة الرئيسية، وحكمة التشريع فيها:

« واعلم أن عمدة ما روعي في الزكاة مصلحتان، مصلحة ترجع إلى تهذيب النفس، وهي أنّها أحضرت الشح، والشح أقبح الأخلاق، ضار بها في المعاد، ومن كان

شحيحاً، فإنه إذا مات بقي قلبه متعلقاً بالمال، وعذب بذلك، ومن تمرّن بالزكاة، وأزال الشح من نفسه، كان ذلك نافعاً له.

وأنفع الأخلاق في المعاد بعد الإخبات لله تعالى، هو سخاوة النفس، فكما أن الإخبات يعدّ للنفس هيئة التطلع إلى الجبروت، فكذلك السخاوة تعدّ لها البراءة عن الهيئات الخسيسة الدنيوية، وذلك لأن أصل السخاوة قهر الملكية البهيمية، وأن تكون الملكية هي الغالبة، وتكون البهيمية منصبغة بصبغها، آخذة حكمها، ومن المنبهات عليها بذل المال مع الحاجة إليه، والعفو عمن ظلم، والصبر على الشدائد في الكريهات، بأن يهوّن عليه ألم الدنيا لإيقانه بالآخرة، فأمر النبي ﷺ بكل ذلك، وضبط أعظمها، وهو بذل المال بحدود، وقرنت بالصلاة والإيمان في مواضع كثيرة من القرآن، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر:٤٣-٤٥].

ومصلحة ترجع إلى المدينة، وهي أنها تجمع لا محالة الضعفاء وذوي الحاجة، وتلك الحوادث تغدو على قوم، وتروح على آخرين، فلو لم تكن السنة بينهم مواساة الفقراء وأهل الحاجات لهلكوا وماتوا جوعاً، وأيضاً فنظام المدينة يتوقف على مال، يكون به قوام معيشة الحفظة الذابين عنها، والمدبرين السائسين لها، ولما كانوا عاملين للمدينة عملاً نافعاً، مشغولين به عن اكتساب كفافهم، وجب أن يكون قوام معيشتهم عليها. والإنفاقات المشتركة، لا تسهل على البعض، أو لا يقدر عليها البعض، فوجب أن تكون جباية الأموال من الرعية سنة.

ولما لم يكن أسهل ولا أوفق بالمصلحة من أن تجعل إحدى المصلحتين مضمومة بالأخرى، أدخل الشرع إحداهما في الأخرى[١] ».

---

[١] « حجة الله البالغة » (٢/٢٩-٣٠).

ويقول العلامة بحر العلوم اللكهنوي[١]: « إن الزكاة ليست غرامة، بل عبادة خالصة لله تعالى كسائر العبادات، ولا بد في أداء الزكاة من النية، لأن الزكاة عبادة عظمى، أحد أركان الإسلام كالصلاة، لا يقصد منها إلا الثواب، فلا بد من النية، وإن أدى بلا نية لا يتأدى الزكاة كالصلاة، لأن الصلاة تلغو بلا نية، بخلاف الزكاة من دون النية، فإنها تصير هبة، وينال ثواب الهبة، لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً[٢] ».

سماتُ « الزكاة » البارزة:

وللزكاة المشروعة في الإسلام سمات تميزها عن أنواع الجبايات والإتاوات التي تفرضها الحكومات أو المجتمعات، أو تُسن في القوانين الوضعية البشرية، وتجعل لها هذه السمات طابعاً خاصاً، وطبيعة خاصة، وتضفي عليها قدساً دينياً، وتجعل لها تأثيراً في الحياة والأخلاق، وفي الصلة بين العبد وربّه، لا يوجد « ولا يمكن أن يُوجد » في الجبايات وأنواع الضرائب والإتاوات، مهما بلغت من العدل والنزاهة، والخفة والضآلة.

التبشيروالإنذار:

فمن أبرز هذه السمات، ومن أعمقها في التأثير ما يقترن بهذه الفريضة، ويرافقها من روح الإيمان والاحتساب، وهي الروح التي تتجرد منها الضرائب الرسمية، والجبايات القانونية بطبيعة الحال، بل بالعكس من ذلك ترافق هذه الأخيرة روح المقت والسآمة والسخط، والاستثقال والاستكثار، فإن دفع هذه الضرائب لا يعتقد أنها مشروعة من الله، ولا يرجو عليها أجراً وثواباً، بل يعتقد في أكثر الأحيان أن مصدرها تشريع أفراد مثله، أو أخسَّ منه، وتنفق في كثير من الأحيان في الأهواء والشهوات، وفي المحافظة على

---

[١] هو العلامة عبد العلي محمد ابن العلامة نظام الدين السهالوي اللكهنوي، كان إماماً جوالاً في الأصول والمنطق، ومن أشهر مؤلفاته (فواتح الرحموت، شرح مسلم الثبوت) توفي سنة ١٢٢٥هـ.

[٢] « رسائل الأركان » (١٦٣).

السلطات، أو لخدمة أشخاص معدودين، أو أحزاب محدودة، ثم لا يُرافق هذه الأحكام والتشريعات شيء من الترغيب والترهيب الدينيّين، بل يتبعها تهديدات وغرامات زمنية، أو مناشير ومراسيم قاسية جافة، تزيد دافعها كراهة وسخطاً، وتذمراً ومقتاً.

ولهذه الحكمة البالغة التي لا يقدر عليها إلا العلي الحكيم، جاءت الزكاة في القرآن والحديث، وفي التعليمات النبوية مقرونة بالفضائل، وما لها من نتائج في الدنيا والآخرة، وما وعد الله لفاعلها من الأجر والثواب، والنمو والبركة في المال، والعقاب الأليم لمن امتنع عنها، ومحق ماله.

فيقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦١- ٢٦٢]. ويقول: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، ويقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، ويقول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيم﴾ [الحديد: ١١]، ويقول: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨]، ويقول: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩] والآيات في ذلك كثيرة.

وكذلك تبع هذا التبشير الذي هو حاجة الإنسانية ومقتضى الطبيعة البشرية، إنذار وتخويف على اكتناز الأموال، وحيازتها من الفقراء وذوي الحاجات، والامتناع من أداء حق الله وحق الفقراء في هذه الأموال التي تفيض عن الحاجة وتتكدس عند أصحابها،

تسلية بها، وتطاولاً وشحاً وحرصاً، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤- ٣٥].

وعلى هذا النسق الحكيم جرى لسان النبوة الأخيرة، ففاض الحديث النبوي ببشارات ووعود كريمة على أداء الزكاة، وآثارها الطيبة في المال والنفس، وفي الدنيا والآخرة.

فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: « ما تصدق أحد بصدقة من طيّب - ولا يقبل الله إلا الطيب - إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله ».
وعنه قال : قال رسول الله ﷺ: « بينما رجل في فلاة من الأرض، فسمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج، وقد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقة يحوّل الماء بمسحاته، فقال: يا عبد الله! ما اسمك؟ قال: فلان! للاسم الذي سمع في السحابة، فقال: يا عبد الله! لم سألتني عن اسمي؟ قال: سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه. يقول: اسق حديقة فلان، باسمك. فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثه وأردُّ فيه ثلثه » (مسلم) وقال: قال رسول الله ﷺ: « ما نقص مال من صدقة، أو قال: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع عبد لله إلا رفعه الله » وعنه، رفعه، قال: ما من يوم يصبح فيه العباد إلا ملكان ينزلان، يقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: « اللهم أعط ممسكاً تلفاً ». (متفق عليه)

ومنها، ماروت عائشة أم المؤمنين، قالت: إنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: ما بقي منها؟ قالت: ما بقي منها إلا كتفها. قال: بقي كلها، إلا كتفها.

وكذلك أنذر الرسول صلى الله عليه وسلم مانعي الزكاة، ومن لا يؤدي حق الله والفقراء في ماله، بالعقاب الشديد في الآخرة، وبالنتيجة الوخيمة في الدنيا، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِّل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه، يعني شدقيه، ثم يقول: أنا مالك، أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية ». (رواه البخاري)

وعنه أنه قال: « قال رسول الله ﷺ: إذا اتخذ الفيء دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وتُعُلم لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته، وعقَّ أمه، وأدنى صديقه، وأقصى أباه، وظهرت الأصوات في المساجد، وساد القبيلةَ فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القينات والمعازف وشُربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولَها. فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة، وخسفاً، ومسخاً، وقذفاً، وآيات تتابع كنظام قُطع سلكه فتتابع ». (رواه الترمذي)

وقد كانت نتيجة هذه الفضائل، وما جاء في القرآن والحديث في الترغيب والترهيب، أن المسلمين كانوا رقباء أنفسهم، وكانوا سعاة بيت المال المتطوعين، ووكلاء فقراء المسلمين، في أموالهم، وحرثهم، ونسلهم، فكانوا يبحثون عن المصارف، ومستحقي الزكاة بحثاً أميناً دقيقاً، ويتحرون مواضعها، ويحرصون على أداء ما يجب عليهم من حق الله، فلا يطيب لهم عيش، ولا يهنأ لهم طعام حتى يتخلوا عن ذلك، ومن تتبع حياة الصحابة رضي الله عنهم، ودرس سيرتهم وسيرة التابعين لهم بإحسان، رأى مواقفهم في ذلك، وعرف ما بلغ الإيمانُ وأخبار الترغيب والترهيب من نفوسهم، حتى أصبحت بذلك الزكاة كالصلاة، التي يحرص على أدائها المسلم، ويحافظ عليها بدقة، ولا يقر له قرار حتى يقوم بها.

وقد فطن لأهمية هذه الفضائل، وما لها من فضل في إثارة الشعور الديني، علماء الإسلام، فحرصوا على إيراد هذه الفضائل والترغيب والترهيب في كتبهم، وأشادوا بها في مواعظهم وخطبهم، وكان لها التأثير المطلوب في المجتمع الإسلامي، فلولا هي لتعطل أداء الزكاة، ولهجر المسلمون القيام بها بأنفسهم، بعدما تركت الحكومات الإسلامية المطالبة بها، والإشراف عليها.

وقد أحسن شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الإشارة إلى أهمية هذه الفضائل ومكانتها في التشريع الإسلامي. فقال: « ثم مست الحاجة إلى بيان فضائل الإنفاق والترغيب فيه، ليكون برغبة وسخاوة نفس، وهي روح الزكاة، وبها قوام المصلحة الراجعة إلى تهذيب النفس، وإلى بيان مساوىء الإمساك والتزهيد فيه، إذ الشح هو مبدأ تضرر مانع الزكاة، وذلك إما في الدنيا، وهو قول الملك: اللهم أعط منفقاً خلفاً، والآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً، قوله ﷺ: « اتقوا الشح، فإن الشح أهلك من قبلكم » الحديث، وقوله ﷺ: « إن الصدقة لتطفيء غضب الرب »، وقوله ﷺ: إن الصدقة تطفىء الخطيئة، كما يطفىء الماء النار » وقوله : « فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها » الحديث[1].

تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم:

والسمة الثانية البارزة التي تميز الزكاة عن سائر الجبايات والضرائب؛ التي كانت تفرض في زمن الملوك والسلاطين، وفي عهد الحكومات الشخصية، أو في عصرنا الحاضر في الجمهوريات وحكومات الشعوب، وتجعلها تختلف عنها اختلافاً واضحاً في البداية والنهاية، وفي النتائج والآثار، هي وضعها الشرعي الذي قرره الرسول ﷺ

[١] « حجة الله البالغة » (٢/٣٠-٣١).

بلفظه المعجز الحكيم، وتعبيره النبوي الدقيق الذي يعد من جوامع الكلم. فقال: « تؤخذ من أغنيائهم، وترد على فقرائهم » ، وذلك وضع الزكاة الأصيل الشرعي الذي كانت عليه، ويجب أن تكون عليه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهي تؤخذ من الأغنياء الذين يستوفون شروط وجوبها، ويملكون النصاب المعين المنصوص، وتصرف في مصارف عينها الله تعالى في القرآن، ولم يكلها إلى رأي مشترع أو مقنن، أو حاكم أو عالم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء﴾ الآية، وتفضّل الشريعة، وترجح الأحاديث النبوية أن تصرف هذه الصدقات على فقراء البلد الذي تجبى فيه.

وكذلك كان نظام الزكاة حتى في الحكومات التي لم تكن دقيقة كل الدقة، ولا أمينة كل الأمانة في تطبيق الأحكام الشرعية، وتحقيق المثل الإسلامية العليا في الحكم والسياسة. فلم يُحرم الفقراء والمساكين حقهم في ظل هذه الحكومات، ولم تتعطل حدود الله كل التعطل[1]، في هذه الحكومات، التي يبالغ كثير من المؤرخين المغرضين، والباحثين المستشرقين في ذمها، وانحرافها عن تعاليم الإسلام، بل ثورتها عليها، كما يقولون.

وبالعكس من ذلك، الجبايات والضرائب والمكوس، التي تفرضها الحكومات اليوم، فهي صورة مقلوبة معكوسة للزكاة، فهذه الضرائب - العادلة منها والمجحفة، والصغيرة منها والضخمة - تؤخذ من الفقراء وأوساط النَّاسِ، وتُردّ على الرؤساء والأغنياء والأقوياء، إنها تجتمع بعرق جبين الفلاحين، والعملة والصناعين، والتجار الذين يشتغلون ليل نهار في متاجرهم ودكاكينهم، وتُصرف هذه الأموال بسخاء بل بقسوة نادرة،

---

[1] كتاب الخراج لقاضي القضاة، الإمام أبي يوسف ومقدمته بصفة خاصة برهان ساطع على ما كان من اهتمام في أوج الدولة العباسية بأحكام الخراج والزكاة والصدقات فإنه كتب هذا الكتاب العظيم باقتراح من أمير المؤمنين « هارون الرشيد ».

ووقاحة زائدة في استقبال رؤساء الجمهوريات الزائرين للبلاد، وفي ولائمهم التي تشبه ولائم « ألف ليلة وليلة » الخيالية الأسطورية وفي المهرجانات التي يحتفل بها بين حين وحين، وفي مآدب السفارات في البلاد الأجنبية التي تجري فيها الخمر جري الأنهار، وفي دعايات الحكومة التي تستنفد موارد الشعب وتمتص دماءه، وتحول بين رجل الشعب وقوته، وفي جعالات الصحفيين الأجانب، ووكالات الأنباء، ورواتب المذيعين البارعين الذين حذقوا فن تلفيق الأخبار، واتهام الأبرياء، وتشريح الأحياء من المنافسين والأعداء وتكاليف الصحف التي تعتبر أهم وأنفع من أقوى الجيوش، وأحدث الأسلحة. فما من حكومة شعبية ديمقراطية، ولا من حكومة شيوعية أو اشتراكية، إلا وهي تمتص دم الشعب كالإسفنج، وتصبه في بحر الدعاية والرشاء السياسي، والتلبيس الصحفي، ومحاكمة المعارضين، من المجرمين وغير المجرمين، فلا أدق تصويراً ولا أصدق تعبيراً في وصف هذه الضرائب، التي تقوم عليها الحكومات اليوم، من قولنا إنَّها « تؤخذ من فقرائهم وترد على أغنيائهم » لذا كانت الزكاة الإسلامية التي فرضها الله على عباده الموسرين لطفاً ورحمة بالأمة، ونتيجة لنعمة النبوة التي لا نعمة فوقها، ضريبة إذا كان لا بد من إطلاق هذه الكلمة أقل الضرائب مقداراً وأخفها مؤنة، وأعظمها يُمناً وبركة، وأكثرها فائدة، لأنها « تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم ».

روح التقوى والتواضع والإخلاص:

والسمة الثالثة المميزة للزكاة، هي روح الإخلاص، والتواضع والامتنان (لا المنّ) والإكرام الذي يجب أن يقترن به أداءُ الزكاة، ويتّصف به صاحبها وهي الآداب الدقيقة والأخلاق السامية النبيلة، والروح الدينيّة التي حثّ عليها القرآن وأشاد بها، ووصف كرام القائمين بهذه الفريضة بالتّلبُّس بها، فتارة نهى المتصدّقين وأصحاب الخير والبرّ، عن أن يكدّر أعمالهم، ويُقلل من قيمتها المنّ والأذى، فقال في الأسلوب

القرآني المعجز: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٢ - ٢٦٤].

وتارة مدح أصحاب الخير والبر بروح التواضع والإشفاق الذي يسيطر عليهم عند اشتغالهم بهذه الخيرات وتلبُّسهم بها، فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1] [المائدة: ٥٥]، وتارة مدح القائمين بهذه المبرّات وأعمال المواساة بالإخلاص التام، والتجرد عن الأغراض المادية أو المعنوية، فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا، إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨ - ١٠].

وكذلك حثّ على أن يكون حظ الله وحظ عباده الفقراء من المال الطيب الكريم الذي ترغب فيه النفس، ويكرم به الرجل لا من المرذول الرديء الذي يُزهد فيه، ويُستهان بقيمته، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وفي الحديث: « أن عائشة أرادت أن تتصدّق بلحم منتن، فقال لها النبي

---

[١] قال العلامة أبو حيان الأندلسي في « بحر المحيط » (١٤/٣): « والركوع هنا ظاهره الخضوع لا الهيئة التي في الصلاة ».

صلى الله عليه وسلم: أتتصدقين بما لا تأكلين؟! »[١].

وبالعكس من ذلك الجبايات التي تجبيها الحكومات - عدلاً أو ظلماً - تتجرد من هذا الروح الخلقي والتعبدي، وعن تواضع النفس، والخوف على العمل من الرياء وعدم الإخلاص، وتحري المال الطاهر الطيب الأثير الكريم، ففي غالب الأحيان تقترن هذه الجبايات بروح المقت والضجر والاحتيال القانوني، وتعمد المال الذي جاء من طرق غير شرعية، وتلك طبيعة الأحكام والقوانين العلمانية الزمنية، التي لا تسندها عقيدة، ولا فكرة دينية، أو قدسي روحي.

الفرق بين الزكاة والربا:

إن الزكاة والربا يتناقضان « على خط مستقيم » فهما من الأضداد المعنوية، والمتناقضات الخلقية، التي تفترق من بدايتها، ولا تلتقي إلى النهاية، فدوافع الواحد منهما تناقض دوافع الآخر، وكذلك الأهداف والغايات، وكذلك الآثار في النفس، وفي الفرد والجماعة، وفي المجتمع الإنساني بصفة عامة.

فروح الزكاة خشية الله وطاعته، وابتغاء رضوانه، والمواساة والعطف على الفقراء والرثاء لأحوالهم ورقة القلب، والإخلاص والتجرد عن الأغراض، حين كان روح الربا معصية الله، ومبارزته بالحرب، وقسوة القلب، والشح المفرط، والنهامة المسرفة للمال، وتضخمه وتناسله[٢] من كل طريق، وانتهاز فرصة حاجة الفقير الملحة، واستغلال فقره وضعفه.

وحين كانت نتيجة الزكاة، وأثرها النفسي زيادة الإيمان، وانشراح القلب،

---

[١] « المعجم الأوسط » (٢/ ٢٣١).

[٢] ذلك لأن مال المرابي يلد المال، ويبيض ويفرخ من غير مقابل، من جهد أو تجارة، حتى يكون أضعافاً مضاعفة.

وطيب النفس والرسوخ في الكرم والنبالة، والسخاء والسماحة، كانت نتيجة الربا انقباض النفس، وقسوة القلب، وبلادة الروح وشراسة الخُلق، والضراوة باللحم الإنساني وماء الوجه، وديباجة الحياة الإنسانية، وانتهاك كرامتها، والتمتع والالتذاذ بمواضع الضعف والعجز في المجتمع والحياة.

وحين كانت نتيجة الزكاة فشو روح المواساة والكرم في المجتمع، وانتشار الغنى في أعضائه، والبركة في الأموال، والألفة في القلوب، والتحابب في النفوس، والثقة بين الأفراد، كانت نتيجة الربا تكدس مال المجتمع، وحصيلة جهود أعضائه في مكان واحد، أو في فرد واحد، أو في أفراد في أقل عدد ممكن، فكان المرابي في هذا المجتمع، هو الحوض الصغير الذي تنتهي إليه جميع السواقي في هذا البلد، ويبقى من غير ماء، أو كجبل المغناطيس الذي جاءت قصته في رحلات سندباد البحري في ألف ليلة وليلة، الجبل الذي يقال أن سفينة رماها الطوفان إليه، فجعل الربان يبكي وينوح، فسئل عن السبب، فقال: ابتلانا الله بجبل المغناطيس الواقع في هذا البحر. وإنه سيجرّ جميع المسامير الحديدية، فتتحطم السفينة وتتناثر ألواحها وأجزاؤها، فيلقمها البحر. وكذلك كان، فالمرابي، أو جماعة المرابين في بلد يملكون ذلك المغناطيس «المال»، الذي يجتذبون به جميع المسامير والروابط التي تربط أجزاء الحياة وقوائمها، بعضها ببعض، فتتناثر هذه الأجزاء، وتتفكك هذه العرى والروابط، وينزف جسم المجتمع دمه القاني الأصيل، ويُصاب بالسل الخُلقي والاقتصادي، فإذا عاش، عاش مسلولاً مشلولاً، وإذا مات، مات حزيناً سليباً.

وكذلك نتيجة الربا: التباغض بين الأفراد، وزوال الثقة المتبادلة في المجتمع، وفشو روح السخط والتشاؤم، والشماتة بين المتعاملين بالربا، وبين الفقراء والأغنياء، ووجود طبقتين متميزتين تمام التميز، كانت إحداهما من جنس البشر، والأخرى من الحيوانات والدواجن، وهما طبقة الأثرياء ثراء فاحشاً، وطبقة الفقراء فقراً مدقعاً.

لذلك يذم القرآن الربا ذماً شديداً، ويشنع عليه ويقبح تصويره، بمقدار ما يمدح الزكاة ويحث عليها، بل قد يكون تشنيعه على الربا، وذمه له أقوى وأعنف، من مدحه للزكاة والصدقات، وذلك أسلوب القرآن الحكيم في العقائد المنحرفة، والأخلاق الذميمة، والأعمال القبيحة . فكانت صيغته لذم الربا، وعبارته فيه من أشد أساليب الذم والإنكار، وأفظعها، الأسلوب الذي تقشعر له الأبدان، وتنخلع منه القلوب، وهو قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الربوا إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، وصور آكل الربا تصويراً دقيقاً يثير المقت والكراهة في نفس القارىء المؤمن، فيقول : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقد قارن القرآن بين الربا والصدقات، وآثارهما ونتائجهما، في أكثر من موضع، فقال في إيجاز، هو الإعجاز، وفي لفظ يحتاج تفسيره إلى مجلد ضخم، وإلى استعراض تاريخ علم الاقتصاد، وما آل إليه أمر البلاد والمجتمعات التي عاملت بالربا فقال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦] وقال : ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩].

وكذلك فعل الرسول ﷺ - وكان خلقه القرآن - فمدح الزكاة والصدقات، وذكر آثارها ونتائجها في المال وفي جماعة المسلمين، وقد مرت الأحاديث التي وردت في البركة في المال الذي يتصدق منه، وإعانة العبد المتصدق من الله، وبالعكس من

ذلك، أنذر على منع الزكاة بالعقوبة العاجلة في الدنيا، فقد روى بريدة عنه، قال: « ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين »[١].

وهكذا أنذر على الربا والمعاملة به بالعقوبات في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فقال: « ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة، ما من قوم يظهر فيهم الرشا، إلا أخذوا بالرعب »[٢]. وقال: « لعن الله آكل الربا، وموكله وكاتبه، ومانع الصدقة »[٣]. وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: « أتيت ليلة أسري بي على قوم، بطونهم كالبيوت، فيها الحيات ترى من خارج بطونهم، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء أكلة الربا »[٤]. وقال: « إذا أراد الله بقرية هلاكاً أظهر فيهم الربا »[٥].

ومن اطلع على تاريخ المجتمع الإسلامي، ودرسه من الناحية الخلقية، ومن ناحية تطبيقه للأحكام الشرعية، والأوامر الإلهية، وما جر ذلك عليه من يمن وبركة، وأمن وسلامة، وسعادة ورخاء. وإخلاله بالشريعة، وتعطيله للحدود والفرائض، وما جرّ ذلك عليه من بلاء وشقاء، ومن ضيق وضنك، صدق هذه الأخبار النبويّة الصادقة، وهذه الأحاديث الواردة، وصدق الله العظيم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

---

[١] « المعجم الأوسط » (٥/ ٢٦، ٧/ ٤٠).

[٢] رواه الحاكم في المستدرك، والنسائي في السنن.

[٣] رواه الحاكم في المستدرك، والنسائي في السنن.

[٤] رواه أحمد وابن ماجه.

[٥] كنز العمال مروياً عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢/٢١٣).

مبنى دار الحديث الشريف

Title Code: UPARA 00029 Quarterly

AL-SHARIQ Arabic

JAMIA ISLAMIA
Muzaffarpur, Azamgarh, Pin: 276302 U.P. (India)

Vol. No: 9 Issu.No: 1

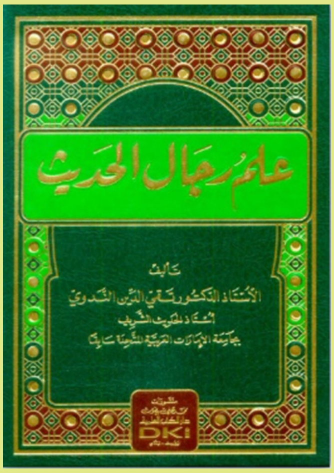

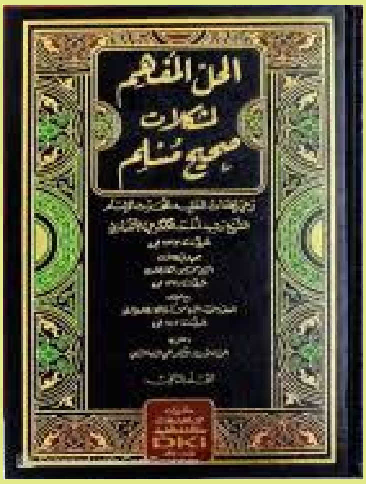

Email: alshariqarabic@gmail.com
Mob: +918795565555

(Printed At Harsh Offeset Press, Jaunpur, U.P.)